محاضرات النقد الأدبي القديم

السداسي الأول

إعداد الأستاذ : غندوز محمد

المحاضرة الأولى :النقد العربي مفهومه وتطوره وجغرافيته في المشرق والمغرب

- **مفهوم النقد من اللغة إلى الاصطلاح**

لغة:تشير لفظة نقد لغة إلى عدة معاني،لعل أشهرها التمييز بين الجيد والرديء من الدراهم،وهذا يكون عن خبرة وفهم ومدارسة.

وهناك معنى آخر جاء في حديث أبي الدرداء أنه قال :"إذا نقدت الناس نقدوك،وإذا تركتهم تركوك."معناه إذا عبتهم قابلوك بمثله،فالنقد هنا يعني العيب والتجريح.

ويمكن الوقوف على عدة معاني لغوية نضوي تحت هذه اللفظة لا يسع المقام لحصرها،والأهم في ذلك هو الوقوف الصلة الدلالية التي أمنت الانتقال من المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي،وربما المعنى اللغوي الذي أشرنا إليه بدءا هو الكفيل بذلك.إذ غالبا ما يشكل المعنى اللغوي خامة أو أصلا أو مرجعا للمعنى الاصطلاحي .

اصطلاحا:النقد في عموم اصطلاحه مفهوم مرتبط بكل مناحي الحياة ومجالاتها والكلام عنه بهذا الشكل سيتشعب تشعب مجالات الحياة،لذلك سنحصر دائرة اصطلاحه فيما يهمنا وهو الأدب فما هو النقد الأدبي ؟

هو تقدير العمل الأدبي بعد إنجازه بشكل متكامل تقديرا صحيحا يكشف مواطن الجودة والرداءة فيه،مع بيان درجته وقيمته الفنية،ومن ثم الحكم عليه بمعايير فنية،لبيان درجته بالنسبة إلى ما يشابهه

PDF Create & Trial
www.trial-pdf.com

ويدخل في هذا السياق كل عمل يتصل بالنص الأدبي شريطة أن يلي المنجز النصي: كالشرح والتفسير والتحليل والتقويم وغيرها وكلها تصب في المقاربة النقدية.

وقبل هذا وذاك لابد من الذوق الأدبي في كل عمل نقدي باعتباره الخطوة الأساس والرابط الأوثق في الانطلاق إلى آفاق أخرى في رحاب النصوص.وحين الكلام عن ذوق الناقد،لابد من الإشارة إلى أنه ذوق غير عادي،إذ هو أرفع من ذوق العامة مرانا وممارسة وهو أشبه ما يكون بالملكة أو الموهبة من خلال الاحتكاك المتواصل بالنصوص،فضلا عن ما يتمتع به الناقد ذاته من حدة النظر وسرعة الخاطر والقدرة على المشاركة العاطفية،وفوق ذلك كله ثقافة الناقد الأدبية والعلمية،ومعرفة الأطوار التاريخية للأعمال الفنية والأدبية وصلاتها بالفنون الأخرى،وحسن الفهم للنصوص والتعمق فيها.

النقد بين الموضوعية والذاتية

إن موضوع النقد الأدبي هو الأدب ذاته بنظمه ونثره،وكما عرضنا مسبقا فإن منطلق المقاربة النقدية هو الذوق،ومن ثم تتوارد العمليات الأخرى.

يقول إحسان عباس:"ولكن النقد في حقيقته تعبير عن موقف على متكامل في النظرة إلى الفن عامة أو إلى الشعر خاصة يبدأ بالذوق أي القدرة على التمييز ويعبر منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقييم،خطوات لا تغني إحداها عن الأخرى وهي متدرجة على هذا النسق."

والملاحظ على هذه الخطوات توزعها بين الذاتية والموضوعية،فالخطوة الأولى على أهميتها ذاتية بامتياز أما الخطوات الأخرى فيمكن للناقد أن ينأى بنفسه عن الذاتية ولو نسبيا.لا سيما خطوات التفسير والتعليل والتحليل باعتبارها عمليات عقلية أكثر منها ذوقية تأثرية.

PDF Create & Trial
www.nuance.com

خصائص النقد الجاهلي ومظاهره

ظلت البيئة العربية ردحا من الزمن ذات طابع بدوي في الغالب،تنقطع في معظم أزمنتها عن أسباب الحضارة،مما ورث لدي العربي بساطة في كل مناحي حياته،فضلا عن بساطة البيئة،ومع ذلك أتاحت له خصوصيته وتميزه في الفصاحة والبيان ذوقا مميزا يقتنص بشكل سحري مواطن الجودة والتميز في النص الشعري

ولا غرابة في أن نجد هذه البيئة منبتا خصبا لأرقي النصوص الشعرية،والتي لازالت تصنع التميز لومنا هذا،مع خلوها من القاعدة النقدية الحقيقة،وافتقادها تماما لنقاد متخصصين

يرجع سر هذه العربه كما اسلفنا الى ذوق المتلقي العربي آنذاك والذي شكل الفلذات الأولى لتراثنا النقدي،مبعثه المنبر الشفوي ومجاله الاستحسان أو الاستهجان الفطريين دون الخروج عن الطبع أو العرف السائد.

وقد اختصر الأستاذ حبيب مونسي العملية برمتها قائلا:"...واستنادا إلى عاملي الاستحسان والاستهجان الفطريين الذين يواجهان المسموع فيفيصدر إلى حكم دون أن يسديا تعليلا يبرره،ويوثق عقيدته،بل جاءت عفوية تصدر عن موافقة للطبع والعرف في شكل تعليق سريع يطوي نصا برمته،في عبارة مقتضبة أو في شكل حركة فيزيولوجية تنتاب الجسد أو بعضه،تكون آية على هذا أو ذاك،

من هنا يمكننا القول أن النقد في العصر الجاهلي لم يخرج عن دائرة التأثر والانطباع،وهذا لا يعد تحقيرا أو عيبا لتراثنا بالنظر إلى انعدام السبل التي كانت من شأنها أن تؤهله إلى مصاف النقد المنهجي والتطبيقي،ومع ذلك يمكن اعتبار المنجز النقدي خلال هذه الفترة منطلقا جريئا في ظل هيمنة وطغيان صورة الباث(الشاعر الجاهلي) آنذاك.بارتكازه أساسا على الذوق الفطري،وبقاء

PDF Create & Trial
www.nuance.com

العمليات الأخرى في حدود التعليقات العابرة والملاحظات الانطباعية الذكية التي تسند على فطنة وحصانة .

ويمكن اختصار أهم خصائص نقد هذه الفترة كما يلي :

– كان نقدا انطباعيا تأثريا باعتماده الذوق الفطري

– يفتقد التعليل ذلك أن هذه العملية عقلية بالدرجة الأولى وهي أبعد ما يكون عن بيئة الجاهلي الذي رهين النص المسموع الذي لايمهل المتلقي فرصة التمعن بروية في بنية النص لتعليل الموقف النقدي استحسانا أو استهجانا الا في حدود ضيقة .

–الجزئية:خاصية اقتضاها المناخ الشفوي الجاهلي ذلك أن النص المسموع لا يسمح بتشكل الرؤية الكلية للنص،والتالي الخروج بموقف كلي متكامل،ولذلك لا نستغرب شيوع الأحكام الجزئية المرتبطة بالبيت أو البيتين.

– الأيجاز والاقتضاب في التعليق أو الحكم النقدي وهي سمة شعرية انتقلت عدواها من الشاعر إلى الناقد الذي كان حاضر البديهة سريع النظر قريب المأخذ،يتهل من معين واحد مع الشاعر، وكيف لا تكون أحكامه بمستوى لغة النص وقد يكون هو نفسه شاعر .

وعطفا على هذه الخصائص كان لا بد أن نردفها ببعض المظاهر النقدية التي خلدت أصحابها وأعطتنا صورة جلية واقع الفعل النقدي آنذاك.

حدث بعضهم قال :"تحاكم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم وعبدة بن الطبيب والمخبل السعدي إلى ربيعة بن حذار الأسدي في الشعر،أيهم أشعر،أما أنت فشعرك كلحم أسخن لا هو أنضج فأكل ولا ترك نيئا فينتفع به،وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرود حبر يتلألأ فيها البصر،فكلما أعيد فيها النظر نقص البصر،وأما انت يا مخبل فإن شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم،وأما أنت يا عبدة فإن شعرك كمزادة أحكم خرزها فليس تقطر ولا تمطر.

PDF Create & Trial
www.nuance.com

يحلق الدكتور إحسان عباس على هذا الموقف بقوله:'لعل هذا النموذج من أرقى الأمثلة وأشدها دلالة على طبيعة النقد الأدبي قبل أن يصبح لهذا النقد كيان واضح فهو نموذج يجمع بين النظرة التركيبية والتعميم والتعبير عن الانطباع الكلي،دون لجوء للتعليل وتصوير ما يجول في النفس بصورة أقرب إلى الشعر نفسه،وذلك شأن أكثر الأحكام التي نجدها منذ الجاهلية حتى قبيل أواخر القرن الثاني.

أما إذا رجعنا على مجلس النابغة الذبياني بسوق عكاظ حينما وفد عليه حسان بن ثابت الأنصاري وأنشده قوله:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقال النابغة أنت شاعر ولكنك قللت من جفانك وأسيافك

وقدم في المجلس نفسه الأعشى أبو بصير والخنساء،والقصة مشهورة في كتب النقد والأدب لمن أراد الاستزادة.

ولا يفوتنا أن نقرأ خبر امريء القيس وعلقمة الفحل لدى أم جندب حين أنشداها شعرا يصفان فيه الخيل على روي واحد وقافية،فقالت لامريء القيس علقمة أشعر منك،قال وكيف ذلك؟قالت لأنك قلت :

فللسوط لهوب وللسيف درة وللزجر منه وقع أخرج مهذب

فجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك وقال علقمة

فأدركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه،لم يضربه بسوط ولا مراه بساق ولا زجره .

PDF Create & Trial
www.nuance.com

هذه بعض النماذج من الممارسة النقدية الجاهلية على سبيل المثال لا الحصر،يمكن الاستئناس بها للتدليل على أن النقد الجاهلي لم يتجاوز الذوق الفطري وما تمليه البيئة والعرف السائد،وقفز من الذوق إلى إصدار الحكم أو القيمة دون تريث وملاحظة وتعليل وتفسير .

النقد الأدبي في صدر الأسلام

من الديهي أن يحدث الدين الإسلامي هزة قوية في ميدان الأدب والنقد ما دام قد أحدث هزة أعنف على مستوى نفسية العربي ذاته،فقد تغيرت الأولويات بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم،ولم يعد العربي ذلك المتلقي المأسور بسحر القصيدة وعبقرية الشاعر،بعدما كسر القرآن شوكتهم في أفخر شيء لديهم وهي الفصاحة والبيان،وبدت الهوة سحيقة بين النص الرباني والنص البشري، جعلت الكثير منهم مستيقن عظمة هذا النص وتنزهه عن الشعر وأباطيل المشككين.

هذا على مستوى النص أما على مستوى النقد فقد ظهرت البوادر الأولى للرؤية الشرعية تجاه الشعر وموقفها منه منذ أن قسمت الآية الكريمة الشعراء إلى قسمين شعراء الضلالة والغواية وشعراء الهداية والاصلاح،يقول سبحانه وتعالى:" والشعراء يتبعهم الغاوون .ألم تر أنهم في كل واد يهيمون.وأنهم يقولون ما لا يفعلون.إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون."

فالمنهج الإسلامي كان واضحا من الوهلة الأولى في تحديد موقفه من الشعر والتي يمكن اختصاره فيما يلي:

-هدف الأسلام الأول هو أخلقة الشعر و تهذيبه وغربلته من كل ما من شأنه أن يتعارض مع ما يدعو إليه الدين الجديد

PDF Create & Trial
www.nuance.com

-لم يحرم الإسلام الشعر بل حاول توجيه قوته التأثيرية وتسخيره لخدمة الرسالة المحمدية دعوة وجهادا وشهادة، فالمرحلة أحوج ما يكون إلى هذه الفئة-فئة الشعراء-كقوة داعمة

- كانت المعاني أكثر الجوانب تأثرا بالمنهج الجديد باعتبارها جوهر العملية الشعرية، وترويضها ينسحب معه تغيير كل الأغراض الشعرية بما يناسب القيم الدينية والأخلاقية الجديدة

- انتقل منطلق النقاد من ثنائية الاستحسان أو الاستهجان إلى ثنائية القبول أو الرفض الديني مع بقاء الثنائيه القديمة لكن لا تعلو أو تتجاوز الثنائية الجديدة لأنها الأساس والجوهر في كل مقاربة نقدية

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر

تراوح موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر بين المقياس الديني والمقياس البياني،فالمقياس سليل التوجيه القرآني،والمقياس البياني سليل اللغة العربية التي امتازت بالفصاحة والبيان والرسول يمثل الصورة الأنصع لمستوى البلاغة والبراعة وما ينبغي أن يكون عليه الكلام من حسن النظم وروعة الأداء.

أما المقياس الأول:فيتجلى في توجيهه كعبا بن زهير حينما بلغ في بردته قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

يصلح الرسول قوله هذا ويجعله:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

وهذا معنى إسلامي جميل حيث أن سيوف الله هي التي لا تفل،ولا تحيد عن مواطن الحق،أما غيرها من السيوف فتفل وتنبو وتتلثم

وأما المقياس البياني فيتجلى كذلك في استحسانه قول طرفة بن العبد:

PDF Create & Trial
www.huaraeg.com

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وما كان استحسان الرسول صلى الله عليه وسلم لقول طرفه إلا لما حواه من معنى شريف ونسج جميل.

النقد في العصر الأموي

لم يخرج النقد في الفترة الأموية عن مسار السلف،فقد ظل في مجمله يخضع للذوق الفطري والطبع والسليقة بعيدا عن روح العلم والمنهج.

ولم تتضح بعد في هذه الفترة كذلك معالم شخصية الناقد المتخصص بل اتسع نطاق النقد وكثر الخائضون فيه،حتى شمل الشعراء والأدباء والسوقة والملوك،والرجال والنساء ومما زاد تشعبه تشعب الأغراض الشعرية في هذا العصر وتنوعها الأمر الذي

فهناك نقد انصب على الغزل في بيئة الحجاز فقد وضع الحجازيون من النقاد رسوما للغزل،واستنكروا على عمر بن أبي ربيعة بعض صوره

وكذلك فعل الشاميون مع المديح ،فدعوا إلى سلامة المطالع ومراعاة المقام واختلاف شخصية الممدوح.

أو ما سجله اللغويون والعرضيون على الخصوص من توجيهات بنوية أو إيقاعية لا ترقى إلى المستوى النقدي المضبوط منهجيا وموضوعيا

PDF Create & Trial
www.huanec.com

النقد في العصر العباسي

بواعث النهضة

حقق حقل النقد الأدبي مكاسب نوعية في هذه الفترة مبعثها النهضة العلمية والحضارية التي مست كل مناحي الحياة خلال هذه الفترة ،مبعثها الاستقرار السياسي والتمازج الحضاري بين العرب وغيرهم من الحضارات .

ولعل أول مكسب حازه النقد والنقاد في هذه الفترة تحول النص الأدبي من المشافهة إلى التدوين،وهو تحول يمكن اعتباره محطة مفصلية في تاريخ النقد الأدبي العربي،إذ يؤسس لما قبله وما بعده،ويكتسي هذا التحول أهمية بالغة دونه يؤهل للمرحلة النقدية المقبلة والتي ستعيد ترتيب العملية النقدية برمتها،

حيث يصبح النص أكثر طواعية للمقاربة النقدية مقارنة بالنص المسموع،وقد رأينا فيما سبق تبعات المشافهة على الممارسة النقدية إذ كانت السبب الرئيس في انطباعية وذاتية وجزئية النقد الجاهلي.

أما وقد أصبح النص مكتوبا فالأمر مختلف تماما،فقد أصبح بالإمكان التفسير والتعليل والتحليل والمقارنة وغير ذلك من العمليات التي تلي التذوق وتسبق التقييم،

وثاني مكسب يمكن الحديث عنه هو ما حققه المنجز الحضاري العباسي من نضج على مستوى الأنظمة الفكرية لاسيما أمام حركة الترجمة الواسعة التي طالت حتى الفلسفة اليونانية ومعها المنطق

PDF Create & Trial
www.hiamine.com

الأرسطي وكتابي الشعر والخطابة.كل ذلك ساهم في نضج التفكير النقدي عند العرب،ووعيهم بالقضايا الكبرى التي تحركه،وابتعادهم شيئا فشيئا عن الذاتية في الطرح.

وهو ما هيأ الطريق أمام تبلور شخصية الناقد المتخصص المستقل عن سلطة الأديب والفقيه واللغوي والراوي .

لكن لم تتجسد هذه الشخصية دفعة واحدة،فقد مثل مرحلتها الأول على استحياء جملة من الرواة هم في حقيقة الأمر جيل المرحلة الأخيرة من رواية الشعر،إذ على أيديهم بدأت ترجمة الشعر والشعراء.وتميز هؤلاء-على خلاف غيرهم- باعتمادهم معايير نقدية في تحويل ما حفظوه إلى نصوص مكتوبة.

ويأتي في مقدمتهم الأصمعي من خلال كتابه فحولة الشعراء،حيث قسم الشعراء وفقا لهذه الخاصية إلى فئتين:فحول وغير فحول،يقول في مفتتح الصدد: "ولا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلا حتى يروي أشعار العرب ويسمع الأخبار ويعرف المعاني تدور في مسامعه الألفاظ،وأول ذلك أن يعلم العروض ليكون ميزانا له على قوله والنحو ليصلح به لسانه وليقيم به إعرابه،والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم."

وليس من شك في أن هذه الفحولة تعني طرازا رفيعا في السبك،وطاقة كبيرة في الشاعرية وسيطرة واثقة على المعاني.

ويلي الأصمعي في السياق نفسه ابن سلام الجمحي وكتابه طبقات فحول الشعراء ،حيث أبقى على المعيار نفسه أي الفحولة مع شيء من الإثراء والأضافات التي تدل على أن مؤشر الوعي النقدي بخصوصية المرحلة أخذ في الارتفاع،فقد أضاف الرجل مقاييس جديدة للفحولة نصية أكثر منها شخصية كالجودة والكثرة وتعدد الأغراض .

PDF Create & Trial
www.unlimited.com

وكان أكثر دقة ومنهجية من سابقه في التأسيس لطبقاته.حتى ولم يستطيع التخلص من الارتداد إلى الماضي وتقديمه كنموذج لا يمكن مطاولته.

أكثر من هذا يطرح الجمحي في كتابه قضية المنتحل من الشعر ،ويتصدى في مقدمة كتابه إلى ضروبها وأسبابها،وتأثيرها على الأدب والنقد،يقول:"فلما راجعت العرب رواية الشعر بعد تشاغل العرب عنه بالفتوحات والجهاد،استقل بعض العشائر شعر شعرائهم،وما ذهب من ذكر وقائعهم،وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم،وأرادوا ان يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار،فقالو على ألسنة شعرائهم،ثم كانت الرواية بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت."

PDF Create & Trial
www.huanee.com